حيرة القارئ، وقد يختلط الأمر عليه ويظن بي حنينا إلى الماضي. لا عودة، لا حنين، لا حلم بسلطان جديد، وإن جاء بالنصر العزيز، مجرد صورة مضيئة أثارت خيالي أو ذكّرتني بلحظة بعيدة إلى حد الغياب، يؤنسني استحضارها. ربما ضمنتها دفتر مسوداتي تأكيدا لنفسي أن ما أبكاني في ذلك اليوم لم يكن ما بدا أنه سبب البكاء. إن ضمنت هذا المقطع كتابي لا بد أن أشير إلى مشهد سابق وإلا فلن يفهم القارئ شيئا. سيتعين عليّ أن أصف نفسي وأنا جالس أمام التليفزيون أشاهد مباراة ركض في دورة للألعاب الأولمبية. عليّ أن أصف الشاب وهو يركض، أصف ساقيه المشدودتين واندفاعة جدعه، لحظة تجاوزت قدماه حط النهاية. يبدو أنه سيحكم سرعته تدريجيا ويبطئ حتى يتوقف ليستقبل التهاني والورود، هذا ما يحدث عادة، ولكن الفتى يستمر كأنه لم يصل بعد، أو كأنه لم يعِ أن قدميه سبقتا وأنه الفائز. بلى، يعي أنه الفائز، يعي ذلك بعمق، ينتزع علم بلاده من يد مشجِّع من المشجعين، يرفعه عاليا فيشتد ركضه، يركض كأن المسابقة بدأت للتو، كأن إمساكه بالعلم بين يديه علامة البدء في السباق.

قال: هذا مشهد صعب لن يسهل عليّ كتابته بما يجعل القارئ يفهم لماذا انفجرت في البكاء فجأة، انتحبت كما لم أنتحب في حياتي. قلت لنفسي: تبكي لأن ساقيك معطلتان، لا تملك المشي بهما فما بالك بالركض، ركض العدّائين في المسابقات! ولكني كنت أعرف أن السبب غير ذلك لأنني أتابع المباريات والعدّائين ولا يبكيني انتصار هذا الفتى أو ذاك. وعندما توقف البكاء ألح على أخي، اشتقت له شوقا غريبا، جامحا ويجتاح. قلت لا بد أن تصله رسالتي فيأتي. جلست أنتظره ساعات طويلة، ولما أردت أن أدخل فراشي انتبهت إلى أن جسدي كان متخشبا، كأن جلستي المنكمشة المتقلصة صارت قالبا تصمّغت فيه الأنسجة والعضلات، تؤلم في انقباضها وتؤلم أكثر مع أي محاولة للحركة، لا أجد وضعا مريحا، أستغرب السرير والحاشية ووضع الوسادة، أتساءل كيف كنت أنام من قبل، وعلى هذا السرير؟ كيف كنت أدبر